الحكم بن عمرو الغفاريّ

فاتح الصغانيان

تـأليف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

جمع وترتيب : المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي – المجلد 26 – ص 176 – 183

1395هـ - 1975م

الحكم بن عمرو الغفاري

فاتح الصَغَانيان (١)

– ٣ –

« إني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين »

(الحكم بن عمرو الغفاري)

نسبه وأيامه الاولى :

هو الحكم بن عمرو بن مُجَدَّع بن حِذْيَم بن الحارث بن نُعَيْلة بن مُلَيْك بن ضَمْرَة بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة (٢) .

والحكم عمرو الغفاري هو أخو الصحابي الجليل رافع بن عمرو الغفاري(٣) ، غلب عليهما أنهما من بني غفار بن مليك وليسا عند أهل النسب كذلك ، إنما هما من بني نُعَيْلَة بن مُلَيْك أخي غفار (٤) وقد ينسبون الى الاخوة كثيراً (٥) ، هذا في رأي ، وفي رأي آخر أنهما من غفار ، فقد ولد ضَمْرَة بن بكر بن عبد

---

(١) الصغانيان : ولاية عظيمة بما وراء النهر (نهر جيحون) متصلة الاعمال بترمذ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦١) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦٧) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٢٨) وأسد الغابة (٢/٣٦) . وفي الاصابة (٢/٢٩) : نعيلة بن مليل ، وكذلك في الاستعياب (١/٣٥٦) وجمهرة أنساب العرب (١٨٦) .

(٣) رافع بن عمرو الغفاري : صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه ، وقد سكن البصرة ، والاستيعاب (٢/٤٨٢) . أنظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٧/٢٩) وأسد الغابة (٢/١٥٤) والاصابة (٢/١٨٩) .

(٤) الاستيعاب (١/٣٥٦) وأسد الغابة (٢/١٥٤) والاصابة (٢/٣٠) .

(٥) الاصابة (١/٣٠) .

مناة بن كنانة : غفاراً وهي بطن ضخم منهم الحكم بن عمرو بن مجدع الغفاري(١) وأرجح الرأي الثاني ، لأن الحكم عرف بالغفاري ونسب الى غفار في حياته وبعد موته ، ولاسوغ لذلك لو لم يكن من غفار حقاً وإلا لكان انتسب لقومه الذين هم من ولد اخي غفار ، وليس بين الأخوين تمييز في المكانة والشرف .

صحب النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبض النبي عليه السلام (٢) وروى عنه(٣) ، ثم تحول الى مدينة البصرة فنزلها ، فولاه زياد بن ابي سفيان (خراسان) فخرج اليها (٤) ، وذلك سنة خمس وأربعين الهجرية (٥) (٦٦٥م) .

وكان استعماله على (خراسان) من غير قصد من زياد لولايته ، إنما أرسل زياد يستدعي الحكم بن ابي العاص الثقفي ، فخرج الحاجب فرأى الحكم بن عمرو الغفاري ، فأدخله على زياد ، فقال زياد : « رجل له شرف وله صحبة من رسول الله صلى الله عليه وعليه وسلم » ، فعقد له على (خراسان) ، ثم قال له : « ما أردتك ، ولكن الله عزوجل أرادك » ، ثم جعل معه رجلاً ، وأمرهم بطاعته ، وكانوا على جباية الخراج (٦) .

وكان زياد قد استدعى حاجبه فقال له : « ادع لي الحكم » يريد الحكم بن ابي العاص الثقفي ليوليه (خراسان) ، فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو

(١) جمهرة أنساب العرب (١٨٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢٨/٧) وتاريخ الاسلام (٢٢٠/٢) وتهذيب التهذيب (٤٣٦/٢) وصفة الصفوة (٢٧٩/١) .

(٣) جمهرة أنساب العرب (١٨٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٢٨/٧) وتارخ الاسلام (٢٢٠/٢) وتهذيب التهذيب (٤٣٦/٢) وصفة الصفوة (٢٧٩/١) ، وفي الاستعياب (٣٥٦/١) ؛ ان زيلد ابن أبي سفيان قد ولاة البصرة قبل ذلك في أول ولاية زياد العراقين ثم عزله عن البصرة وولاه خراسان . . . انتهى . ولم يصح ذلك عندنا .

(٥) الطبري (١٧٠/٤)وابن الاثير (٤٥٢/٣) .

(٦) الطبري (١٧٠/٤) وابن الاثير (٤٥٢/٣) ، وانظر ابن خلدون (٩/٣) وأسد الغابة (٣٦/٢) .

الغفاري (١) ، فاستدعاه (٢) فلم يرد زياد أن يرده ، ورآه أهلا لهذه الولاية ، فولاه (خراسان) .

ومن الواضح أن الحكم كانت له سجايا إدارية وقيادية متميزة ، لذلك أقدم زياد وهو من هو دهاء وحكمة وحنكة على توليته (خراسان) القاعدة الأمامية المتقدمة في المشرق للفتح الاسلامي شرقاً وشمالا ؛ وليس للعاطفة دخل في تولية الحكم ، كما يحلو لقسم من المؤرخين القدامى أن يصوروا تولية الحكم لخراسان فقد كان زياد أبعد الناس عن العواطف كما هو معروف عنه ، كما كان الحكم هو الصحابي الجليل لايرضى أن يحمل لنفسه مالا تطيق ، ولا أن يتولى أمراً لا يستطيع النهوض بأعبائه .

وقد يكون الحاجب أخطأ في استدعاء الحكم الغفاري الى زياد ولكن زياداً لم يخطئ في تولية الحكم الغفاري خراسان ، فقد كان اهلاً للادارة والقيادة كما أثبتت الأيام ذلك من بعد .

جهاده :

في سنة سبع وأربعين الهجرية (٦٦٧م) ، غزا الحكم (طخارستان) (٣) ، فغنم غنائم كثيرة (٤) ، ثم سار الى جبال (الغُور) (٥) وغزا أهلها الذين ارتدوا ، فأخذهم بالسيف عنوة وفتحها واصاب منها مغانم كثيرة (٦) .

---

(١) أنظر سيرته في كتاب : قادة فتح بلاد فارس (٢٧٠ - ٢٧٢) .

(٢) الطبري (١٧٠/٤) وابن الأثير (٤٥٢/٣) .

(٣) طخارستان : ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد ، وهي من نواحي خراسان ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١/٦) والمسالك والممالك للاصطخري (١٥٦) .

(٤) ابن خلدون (٩/٣) وابن الاثير (٤٥٢/٣) .

(٥) الغور : جبال وولاية بين هراة وغزنة ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣١٣/٦) .

(٦) ابن الأثير (٤٥٦/٣) .

وكان المهلب بن ابي صُفْرَة مع الحكم بخراسان ، فغزا معه بعض جبال الترك وغزا معه جبل (الأشل) (١) من جبال الترك ، إلا أن الترك أخذوا عليهم الشعاب والطرق واحتار الحكم بالأمر ، فولى المهلب الحرب ، فلم يزل المهلب يحتال حتى أسر عظيماً من عظماء الترك ، فقال له : « إما أن تخرجنا من هذا الضيق ، أو لأقتلنك » ، فقال له : « أوقد النار حيال طريق من هذه الطرق ، وسير الأثقال نحوه ، فانهم سيجتمعون فيه ويخلون ماسواه من الطرق ، فبادرهم الى طريق أخرى ، فما يدركونكم حتى تخرجوا منه » ، ففعل ذلك المهلب ، فسلم الناس بمامعهم من الغنائم (٢) .

وقطع الحكم نهر (جيحون) وعبر الى (ما وراء النهر) (٣) في ولايته ولم يفتح وكان أول من شرب من مائه من المسلمين هو أحد موالي الحكم ، فقد اغترف بترسه من ماء النهر ، فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين ، وكان الحكم أول من فعل ذلك (٤) . وقد قال عبد الله بن المبارك لرجل من أهل (الصَغَانِيان) : « مَنْ فتح بلادك ؟ » ، فقال الرجل : « لاأدري !! » .. فقال ابن المبارك : « فتحها الحكم بن عمرو الغفاري » (٥) .

ومن الواضح أن غزو (الصغانيان) كان سنة ثمان واربعين الهجرية (٦٦٨م) أو سنة تسع واربعين الهجرية (٦٦٩م) ، لأن الحكم رجع من غزو جبال

---

(١) جبل الأشل : جبل في ثغور خراسان ، أنظر معجم البلدان (٢٦٠/١)
(٢) الطبري (١٨٦/٤) وابن الأثير (٤٥٦/٣) .
(٣) ما وراء النهر : ما وراء نهر (جيحون) بخرسان ، فما كان في شرقيه ، يقال له : ما وراء النهر ، وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم ، أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٠/٧) والمسالك والممالك للاصطخري (١٦١) وآثار البلاد وأخبار العباد (٥٥٧) وتقويم البلدان (٤٨٣ - ٥١٥) وأحسن التقاسيم (٣١٠) .
(٤) ابن الأثير (٤٥٦/٣) .
(٥) البلاذري (٤٠٠) .

(الغو ر) سنة سبع واربعين الهجرية (١) (٦٦٧م) ومات سنة خمسين الهجرية (٢) (٦٧٠م) على أرجح الأقوال ، فكانت سنة ثمان واربعين الهجرية وتسع واربعين الهجرية هي المدة التي بقيت من حياته للنهوض بفتح (الصغانيان) ، لأنه قضى سنة خمسين الهجرية آخر سني حياته في غزو جبل (الأشل) ثانية ، فلما عاد من غزوته هذه مات (٣).

الانسان :

كان الحكم صحابياً جليلاً (٤) ، صحب النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه(٥) له عنـــد البخارى رضي الله عنه حديث واحد في النهي عن لحوم الحمر الانسية (٦) .

وكان رجلا فاضلاً يخضب بالصفرة .(٧)

وكان على جانب عظيم من الورع والأمانة وقوة الشخصية ، ولم يكن إمّعة يميل مع الريح حيث مالت . فقد فتح الله عليه وأصاب أموالا عظيمة ، فكتب له زياد بن ابي سفيان : « أما بعد فان أمير المؤمنين كتب الى أن أصطفي له الصفراء والبيضاء ، فلا تقسم في الناس ذهباً ولا فضة » ، فكتب الحكم إلى زياد : « سلام

---

(١) ابن الأثير (٣/٤٥٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٢٩) والبداية والنهاية (٧/٤٧) وتاريخ الأسلام (٢/٢٢٠) وتهذيب التهذيب (٢/٤٣٦) وصفة الصفوة (١/٢٧٩) وأسد للغابة (٢/٣٦) والاستيعاب (١/٣٥٦) والاصابة (٢/٣٠) .

(٣) ابن الأثير (٣/٤٥٦) .

(٤) البداية والنهاية (٧/٤٧) .

(٥) الاصابة (٢/٣٠) وأسد الغابة (٢/٣٦) والاستيعاب (١/٣٥٦) .

(٦) البداية والنهاية (٧/٤٧) وانظر اسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة لابن حزم (٣٠٦)

(٧) تاريخ الاسلام (٢/٢٢٠) .

عليك . أما بعد فانك كتبت إلى تذكر أمير المؤمنين ، واني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ، وانه والله لوكانت السموات والأرض رتقاً (١) على عبد فاتقىّ الله . لجعل الله لـــه منهما مخرجاً . والســـلام عليك » . ثم قال للناس : « اغدوا على فيئكم فاقسموه » (٢) .

ولما استلم زياد كتاب الحكم كتب اليه : « والله لئن بقيتُ لك ، لأقطعن منك طابقاً سُحْتاً » (٣) فقال حين قرأ كتاب زياد : « اللهم إن كان لى عندك خير ، فاقبضني اليك » (٤) .

واستجاب الله دعاء الحكم ، فتوفي بعد انصرافه من غزوة جبل (الأشل)(٥) سنة خمسين الهجرية (٦٧٠م) بـ (مَرْو) (٦) ودفن هناك .

وقيل : إنه توفي سنة سبع واربعين الهجرية (٧) (٦٦٧م) ، وليس بشيئ ، لأنّ أكثر المؤرخين أجمعوا على أنه توفي سنة خمسين الهجرية ، يؤيد ذلك أنه غزا غزوات سنة ثمان واربعين الهجرية وسنة تسع واربعين الهجرية وسنة خمسين الهجرية ، كما مرّ بنا .

---

(١) رتق : بكسر التاء ، انسد والتأم .

(٢) طبقات ابن سعد (٧/٢٨ - ٢٩) ، وأنظر أسد الغابة (٣/٣٦) والاستيعاب (١/٣٥٧) والبداية والنهاية (٧/٤٧) وتاريخ الاسلام (٢/٢٢٠) وصفة الصفوة (١/٢٧٩) والطبري (٤/١٨٧) وابن الأثير (٣/٤٧٠) والبلاذري (٤٠٠) .

(٣) السحت : ما خبث وقبح من المكاسب .

(٤) ابن الأثير (٣/٤٧٠) وأسد الغابة (٢/٣٥) والاستعياب (١/٣٥٧) والطبري (٤/١٨٧) .

(٥) الطبري (٤/١٨٦) وابن الأثير (٣/٤٧٠) .

(٦) طبقات ابن سعد (٧/٢٩) والبداية والنهاية (٧/٤٧) وتاريخ الاسلام (٢/٢٢٠) وتهذيب التهذيب (٢/٤٣٦) وصفة الصفوة (١/٢٧٩) وأسد الغابة (٢/٣٦) والاستيعاب (١/٣٥٦) والاصابة (٢/٣٠) .

(٧) ابن الأثير (٣/٤٥٦) .

القائـد :

كان الحكم قائداً عقيدياً ، لا يخضع إلا للحق وللمصلحة العليا للمسلمين ، ولا يطيع مخلوقاً في معصية الخالق .

وكان يتحلى بشخصية قوية ناقدة ، له مبادئ يطبقها ولا يحيد عنها .

وكان شجاعاً مقداماً ومجاهداً صادقاً ، له إرادة صلبة ، ولم يكن متسرعاً في قراراته ، بل كان قائداً مكيثاً ، له ماض ناصع مجيد .

وكان يثق برجاله ويثقون به ، وبعتمد عليهم ويعتمدون عليه ، ويحبهم ويحبونه .

وكان يستشير رجاله في الملمات ، ويأخذ بآرائهم السديدة ، ويولي ذوي الكفاءات القيادية العالية مهام القتال عند الحاجة ، حتى ولو كان المعزول عن القيادة بأمره هو نفســه ، غير ملتفت إلى ما يجره تخليه عن القيادة لغــيره في أحرج الظروف من تهم وتقولات .

ولم أجد غيره من القادة تخلى عن قيادته بمحض إرادته لغيره ، وجعل نفسه بأمرة القائد الذي اختاره عن طيبة خاطر ، غير الحكم بن عمرو الغفاري ، مما يدل على شدة إخلاصه للمصلحة العامة ومحاسبته نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون .

لقد كان قائداً يضع مصالح رجاله والمسلمين فوق مصالح نفسه ، بل كان ينسى مصالح نفسه دائماً من أجل مصالح رجاله والمسلمين .

لقد كان قائداً متميزاً من طراز نادر رفيع .

الحكم في التاريخ :

يذكر التاريخ للحكم جهاده الطويل الشاق لتكون كلمة الله هي العليا ، حتى توفاه الله ، فسقط السيف من يده وهو يجاهد لاعلاء كلمة الله .

ويذكر له أنه أول من عبر الى ما وراء النهر من المسلمين ، فكان الرائد الأول لفتح تلك المناطق الشاسعة .

ويذكر له أنه أول من عزل نفسه مختاراً عن القيادة ، وولى غيره ، وخضع للقائد الجديد طائعاً مختاراً .

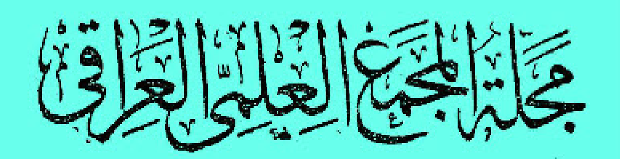
ويذكر له أنه نشر لغة القرآن ومبادئه في كثير من ربوع خراسان والسند وما وراء النهر .

ويذكر له أنه حرص على أموال المسلمين وحقوقهم ، فرفض باباء وشمم أن توضع أموالهم في غير مواضعها وتهدر حقوقهم ، دون أن يخشى مايجره عليه ذلك من متاعب وأضرار ، ويثيره عليه من مشاكل وصعاب .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القوي الامين ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، الحكم بن عمرو الغفاري .

* * *

محمود شيت خطاب



المجلد السادس والعشرون



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

مجلة المجمع العلمي العراقي

فهرس المجلد السادس والعشرين